المحاضرة الثالثة

مقرر التلاوة والتجويد

اللحن وأقسامه

- **معنى اللّحن اللَّحنِ وأقسامِه:**
- لما كانت تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة أمرًا واجبًا وجوبًا عينيًّا على كل من يريد أن يقرأ شيئًا من القرآن الكريم، إذن فيصبح اللحن فيه حرامًا، والتحريف فيه إثمًا. وعلى هذا ينبغي لقارئ القرآن الكريم أن يعرف اللحن ليتجنبه.
- معنى اللَّحنِ:ينقسم اللَّحن إلى قسمين: ١-جليٌّ ٢- خفيٌّ
- القسم الأوّل: الْجَلِيُّ: وهو خطأ يطرأ على اللفظ فيَخِلُّ بمبنى الكلمة سواء أخلّ بمعناها أم لا، وسمي جليًّا؛ لأنّه يَخِلُّ إخلالاً ظاهرًا يشترك في معرفته علماء القراءة وعامّة النّاس.

- مثال الذي يخلُّ بالمعنى: كسرُ التّاءِ في قوله تعالى: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } وكذلك ضمّها.
- ومثال الذي لا يَخِلُّ بالمعنى ضَمُّ الْهَاءِ في قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} .

وحكمُ هذا القسم: حرامٌ بالإجماع لا سيما إنْ تعمّده القارئ أو تساهل فيه، ويأثم فاعله.

- القسم الثّاني: الْخَفِيُّ: وهو خطأٌ يطرأُ على اللّفظ فيَخِلُّ بعُرْفِ القراءةِ، ولا يخلُّ بالمبنى وسُمِّي خفيّاً؛ لأنّه يختصُّ بمعرفته العَالِمُ بأحكام التّجويد فقط، ويخْفَى على عامّة النّاس.
- مثال ذلك: ترك الإظهار أو الإدغام أو الإخفاء، وبالجملة ترك أحكام التّجويد في أثناء القراءة.

- وحكم هذا القسم: التّحريم على الرّاجح إنْ تعمّده القارئ أو تساهل فيه، وقيل بالكراهة، والصواب – إنْ شاء الله – يُعْفَى عنه لِمَنْ لم يستطع الاحتراز منه، وقد خصّهُ بعضُهُمْ بعدم ضبط مقادير المُدود بالنّقص، أو الزيادة، أو عدم المساواة بينها، وقلّة المهارة في تحقّيق الصفات، وتطبيق الأحكام كزيادة التّكرير في الراءات وتطنين النُّونات وتغليظ اللّامات في غير محلّ التغليظ ونحو ذلك.
- وإلى هذا كله يشير العلامة المحقق الشيخ إبراهيم علي شحاتة السَمنُّودِي بقوله:
- اللّحنُ قسمانِ جليٌّ وخفيٌّ ** كُلٌّ حَرَامٌ مع خلافٍ في الخَفِي
أمّا الجليُّ فهْوَ مَبْنىً غَيَّرا ** ثُمَّ الخَفِيُّ مَا عَلَى الوصْفِ طَرَا
وَوَاجبٌ شرعاً تجنُّبُ الجَلِيِّ ** وَوَاجبٌ صِنَاعَةً تَرْكُ الخَفِيّ

- ولقد أعجبني في هذا المقام قول: "الإمام ابن الجزري" في النَّشْر:"والنَّاس في ذلك بين مُحْسِنٍ مأجور، ومسيءٍ آثمٍ أو معذور؛ فمَنْ قَدِرَ على تصحيحِ كلام الله -تعالى- باللَّفظ الصَّحيح، العربيّ الفصيح، وعدل إلى اللَّفظ الفاسد العجمي أو النَّبطي، استغناءً بنفسه، واستبداداً واتكالاً على ما ألف من حفظه، واستكباراً عن الرّجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه؛ فإنّه مقصّرٌ بلا شكٍّ، وآثمٌ بلا ريبٍ، وغاشٌ بلا مِرْيَة، فقد ثبت عن أبي رقية تميم بن أوس الدّاري -رضي الله عنه- أنّ النّبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: "الدينُ النَّصيحة" ، قلنا لمِنْ؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" رواه مسلم. أمّا من كان لا يطاوعه لسانه، أو لا يجد من يهديه إلى الصواب فإن الله لا يكلّف نفسًا إلا وُسْعَها".

- والواقع أنّ المسلم يجب عليه أنْ يبذل الجهد؛ لكي يقرأ القرآن الكريم قراءة صحيحة خالية من اللّحن أو التّحريف؛ حتى ينال رضا ربه، ويكون من الملائكة المقربين؛ فلقد ثبت عن السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنّها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم: "الماهرُ بالقرآنِ مع السّفرةِ الكرامِ البررةِ، والذي يقرأُ القرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فيه وهو عليه شاقٌ له أجرانِ" . رواه مسلم وقد سبقت الإشارة إليه.

تطبيقات

اللحنُ الجليُّ يكون في الحروف، والكلمات، والحركات والسكنات:

أمّا في الحروف فله ثلاث صور هي: ١- إبدال حرفٍ مكان حرف كإبدال "الحاء" من: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} في سورة الفاتحة، "هاءً"، وإبدال " القاف" من قوله تعالى:{اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ} " G" ، وإبدل " الضاد " في قوله تعالى:{...فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (١٧٣) سورة البقرة" طاءً"، وإبدال "الثاء" من قوله تعالى: {عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا} (٥) سورة التحريم، "سيناً"، ومثلها: (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ (١١)؛ فيتغير معنى الكلمة "فكثركم" أي

من الكثرة إلى "فكسركم" من التّكسير (التّحطيم)، ومثل ذلك التغيّر أن يجعل "التاء طاءً" في مثل: "قانتون"، فتصبح "قانطون"، والقنوت معناه الخشوع، أمّا القنوط فهو الجزع واليأس. أو قلب الصّاد سيناً في قوله تعالى: " {.. إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} (١٠٣) سورة النساء"،وغير هذا كثيرٌ جداً.

٢- زيادة حرف على مبنى الكلمة، كزيادة الألف بعد اللام في قوله تعالى: {ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} (٨) سورة التكاثر، فتُقرأ " ولا تسألن"، وزيادة حرف على كلمة وهو ليس في بنية الكلمة أصلاً.

٣- إنقاص حرف من مبنى الكلمة ، أو من النّص :كأن يقرأ: {إِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى}، بدلاً من قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} (٣٤) سورة النازعات، أو غير ذلك من الإنقاص وله ثلاث حالات: الأولى: إبدال كلمة بكلمة أُخرى نحو: {..وَاللّهُ غَفُورٌ رحيم} بدلاً من قوله تعالى: {..وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} (٢٢٥) سورة البقرة.

الثّانية: زيادة كلمة على الآية كزيادة كلمة:مؤمنة" على قوله تعالى: {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ (٨٩) سورة المائدة.

تطبيقات وتنبيهات

- الثّالثة: إنقاص كلمة من آية كأن يقرأ: {وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } بدلاً من قوله تعالى: {وَلِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ } (١٠٩) سورة آل عمران.
- ويكون اللحن بتغيّر الحركات والسكنات نحو:

إبدال الفتحة من قوله تعالى:{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}، ضمّة أو فتحة.

- وإبدال الضمة من قوله تعالى:{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} فتحة أو كسرة.
- إبدال الكسرة من قوله تعالى:{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ضمّة أو كسرة.

- وإبدال السكون من قوله تعالى:{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ} فتحة ونحو ذلك.
- تنبيه: اللحنُ الجليّ إذا حصل في سورة الفاتحة، إمّا أنْ يخِلّ بالمعنَى، وإمّا أنْ لا يخلّ، فغنْ أخلّ بالمعنَى يُبطل الصلاة – مَنْ يقدِر على الصواب – بلا خلاف، وإنْ لم يخِلّ بالمعنَى فالفتوى على أنّه لا يبطل الصلاة، ولكنْ مع الإثم. أمّا في غي الفاتحة فلا تبطل به الصلاة سواءً أأخلّ بالمعنَى أم لم يَخِلّْ إلاّ إذا كان مُتعَمّدَاً، ولكنْ مع الإثم.

أسباب اللحن

١- الجهل بمخارج الحروف؛ فيؤدّي إلى استبدال حرف بحرفٍ.
٢- الجهل بصفات الحروف؛ فيؤدّي إلى استبدال حرفٍ بحرف، وإلى تقبيح الحروف وأكل القوي منها والضعيف.
٣- الجهل بحقائق الحركات والسكنات (الضبط النّحوي)؛ فيؤدّي استبدال حركة بأخرى، أو حركة بسكون، أو تشديد المُخفّف، أو تخفيف المُشدّد... وهكذا.
٤- يبوسة اللّسان والحنك؛ فيؤدّي إلى خلط الحروف والحركات، أو استبدالها، أو تغييرها عن مسارها، أو أكل بعضها.
٥- العُجمة: فتؤدّي إلى عدم نطق الحروف التي لا مثيل لها في لُغته الأصليّة على غير حقيقتها.
٦- الأُميّة: وخاصّة مع كِبرِ السنّ، فإنّا تؤدّي إلى تغييِّر الحروف والحركات والسكنات، أو عدم إعطائها مُستحقاتها.

٧- اللّهجات المحليّة: فإنّها تؤدّي إلى تغيير بعض الحروف ومسار الحركات، وعدم إعطاءِ الحروف مُستحقاتها من الصفات، حيث تُنطق في اللّهجة لحناً.
٨- عدم المعرف بأحكامِ التّجويد، أو الجهل بتطبيقها: فيمدّ مالا مدّ فيه، أو يُترك ما فيه مدّ، أو يزيد في مدّه أو ينقصه، أو يخلِط بين أحكام الميم الساكنة، كما يخلط بين احكام النون الساكنة والتنوين، والميم والنون المُشدّدتيّن، ولا يميّز أحكام اللامات السواكن، وغير ذلك من الأحكام.
٩- الضعف الشديد في اللُّغة العربيّة نحواً وصرفاً، حيث يخلِط بين الحركات والحروف.

١٠- التّقصير في إعطاء القُرآن حقّه من الاهتمام بتعلُّم الأداء الصّحيح من المشايخ المُتقنيّن.
١١- الالتباس، وهو نوعان: أ. التباس سببه الحروف: وهو أنْ تُماثل كلمة كلمة أُخرى في جميع الحروف، إلاّ حرفاً واحداً، وكِلا الكلمتين موجودٌ في القُرآن الكريم كما في:
- {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ} (١٣٥) سورة الأعراف ، تلتبس بـ :{..فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ} (٣٠) سورة الحج.
.{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا

وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (٢١٦) سورة البقرة، تلتبسُ بـ : {فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} (١٦) سورة المزمل.

- {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} (٥٧) سورة الإسراء، تلتبس بـ : {كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا} (٢٠) سورة الإسراء.
- {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُواْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ

قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٢٤٧) سورة البقرة.

- {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ} (١٧٣) سورة الشعراء، تلتبس بـ : {قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ} (١٥) سورة الأعراف.
- {إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ} (٧١) سورة غافر، تلتبس بـ : {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ} (٤٣) سورة الأنبياء.
- وهكذا في كُلّ نظير، وهذا يُعالج بالتّدريب السمعي والنُّطقي.

□ ب. التباس سببه الحركات والسكنات: وهو أنْ تُماثِل الكلمة كلمة أُخرى في جميع الحروف؛ ولكنّها تختلفان في حركة واحدة، أو في سكون، أو فيهما معاً كما في قوله تعالى:

- {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} (٢٤) سورة يوسف، تلتبس بـ المُخْلِصِينَ.
- {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ} (١٧٣) سورة الشعراء، تلتبس بـ {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن

بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (٢١٣) سورة البقرة.

- {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} سورة الإخلاص، تلتبس بـ {كُفُواً }.
- {فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ} (١٧) سورة الحشر، تلتبس بـ : {خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ } (١٦٢) سورة البقرة.
- وهكذا في كُلّ نظيرٍ، ونتوخّى ذلك بالتّدريب السّمعي والنّطقي، عبر ما يُرفد بالثنائيّات.

- وخلاصة القول: إنّ الّحن في اللُّغة أمرٌ قبيحٌ، تنفرُ من الطباعُ السليمة، وتستغربه الأسماع النّقيّة، وتستنكره القلوب الواعية، وهو في القُرآن أشدُّ قُبحاً، وأبلغ خطراً، واعظم استنكاراً، فهو أمرٌ تنكره النّفوسُ الأبيّة، وتأباهُ الأفهام الذكيّة، ولم يكُنْ ذلك إلاّ لِمَا يتضمّنه من المفاسد العظيمة، والنّاس في قراءتهم إمّا مُحسنٌ مأجور، وإمّا مُسيءٌ مأجور أو مأزور.
- أمّا المُحسن المأجور: فهو الذي درس التّجويد وأتقنه، وقرأ القُرآن فجوّده من غير لحنٍ مُطلقاً؛ فهذا الذي ذكره الرّسول – صلى الله عليه وسلّم – فِي قوله: " الذي يقرأُ القرآن

وهو ماهرٌ به مع السفَرَةِ الكرامِ البررة".

- وأمّا المُسيء المأجور: فهو الذي في لسانه عوجٌ لا يتمكن من نُطق الحروف، إمّا خِلقةً، وإمّا عُجمةً، ويسعَى باذلاً جُهدَه لإزالة ذلك من لسانه، ولم يجد مَنْ يساعده على ذلك، فهذا الذي ذكره الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم – بقوله:" والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران" .
- أمّا المسيء المأزور " الآثم": فهو الذي قَدِر على تصحيح كلام الله العربيِّ الفصيح، وعدل به إلى اللّفظ الأعجمي، أو النّبطي، مُستغنيَاً بنفسه، مُستبدّاً برأيه، مُتّكلاً على ما ألِفَ من حفظه، مُستكبراً عن الرجوع إلى عَالِمٍ يوقفه على صحيح لفظِهِ، فإنّ مثل هذا تكون قراءته عليه وليستَ له، ويكون عليه في كُلِّ حرفٍ لا يعطيه حقّه أو مُستحقّه إثم.

فانظر كم يقرأ ذلك المسكين من القُرآن وهو على هذه الحال، وهو يظنُّ أنّه يُحسنُ صُنعا، والسيئات تتراكم عليه بمئات الألوف، بل بالملايين وهو لا يدري. ولا أشبهه إلاّ بذلك الرّاهب الذي رآه سيدنا عمر – رضي الله عنه - وهو في الشام ، وقد نحِل جسمه وهزِلَ، وظهرت عليه شدّة العبادة وكثرتها، فبكى سيدنا عُمر – رضي الله عنه - لحاله؛ لأنّ عبادته تلك التي على غير نهج الله ستكون سبباً في دخوله النّار.

ولذلك على الواحد مِنّا أنْ يُجهد نفسه في تعلُّم كتاب الله على الوجه الذي يرضيه عنّا،